

## Miguel De Cervantes and His Role in the Literary Renaissance of SPAIN (1616- 1547)

### ميغيل دي سيرفانتس ودوره في النهضة الأدبية في اسبانيا 1616-1547

د . جاسم محمد شطب العبيدي ، م.م صادق جعفر عودة الصائغ  
كلية التربية – جامعة كربلاء

#### الملخص

يدور البحث حول حياة ميغيل دي سيرفانتس أحد أبرز أدباء عصر النهضة في اسبانيا ، إذ عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر ، فشارك في حروب اسبانيا ضد الدولة العثمانية ، لاسيما معركة الليبانو الشهيرة عام (1571) إذ أصيب إصابة بالغة ، وفي طريق عودته إلى اسبانيا وقع أسيراً بيد قرصنة شمال أفريقيا ، وبعد انتهاء اسره عاد إلى اسبانيا وتفرغ إلى كتابة الشعر والمسرحيات والقصص القصيرة منها والطويلة ، ومنها رائعته "دون كيشوت" ، وفيها انتقاد مر للأرستقراطية الاسبانية وقيم الفروسية التي كانت سائدة في العصور الوسطى . عاش ميغيل سيرفانتس فقيراً بائساً طيلة حياته ، ولم تغن عنه عبقريته شيئاً ، وتوفي عام (1616).

#### Summary

The research deal with the life of Miguel De Cervantes, that was one of more compete in authors of age of resurgences in Spain in second half of sixteen and beginning of seventeen century . Miguel De Cervantes had share in Ottoman- Spanish wars ,especially Lepanto Battle in 1571in which he had stricken with exaggerated wounded. In his return rode to Spain , he fall in bind of Islamic pirates of North Africa . He returned to Spain after his bind in Algeria had completion and devotion to write a poetry ,theaters, short stories and long stories ,especially his marvelous story " Don Quixote " . Miguel De Cervantes lived poor and miserable man all his life ,in spite of his genius and died in 1616 .

#### المقدمة

يعد ميغيل دي سيرفانتس(ثيربانتس) Miguel De Cervantes من الشخصيات الأدبية المهمة في التاريخ الأوربي الحديث، التي تركت أثرها بصورة واضحة على النهضة الأدبية في اسبانيا ، فقد كان ميغيل سيرفانتس شاعراً ومؤلفاً مسرحياً وقصصياً كتب القصص الطويلة والقصيرة منها، واستطاع من خلال مؤلفاته مواكبة رواد عصر النهضة (عصر الانبعاث الجديد La Renaissance) ، لاسيما من خلال رائعته "دون كيشوت" (دون كيشوتي دي لامانتشا) التي لا تقل أهمية عن روائع الأدب العالمي مثل رائعة هوميروس "الالياذة" ودانتي الليغري في "الكوميديا الإلهية" وتوماس مور في "اليوتوبيا" وهارولد بلوم في "المجمع الغربي"، بل من أعظم روائع الأدب العالمي في إبداعات العصر الحديث ، وهي إلى الآن تثير التساؤلات والجدل وتعدد الرؤى ، وهي عبارة عن مزج بين قيم الفروسية والنبالة في العصور الوسطى ، واندثار هذه القيم في بدايات العصر الحديث لذا مزج الكاتب بين الغناء الملحمي والعرض التراجيدي بأسلوب ساخر وفلسفة خرافية بأسلوب واقعي ، وهي مزج محكم للشعر مع الأدب النثري .

شهدت اسبانيا التي كانت إحدى الدول العظمى أحداثاً وتغيرات اقتصادية وسياسية، واجتماعية، كغيرها من دول العالم لاسيما في الفترة التي عاش فيها ميغيل دي سيرفانتس ( 1547-1616) إذ انفصلت عن الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد وفاة شارل الخامس بنفوسها الذين لا يتعدون التسعة ملايين وامبراطوريتها الممتدة حول العالم حيث كانت تمتلك أمريكا الوسطى، واجزاء واسعة من أمريكا الجنوبية والشمالية، كما كانت لها ممتلكات واسعة في الفلبين والهند الغربية، فضلا عن استحواذها على كل الممتلكات البرتغالية عام 1580 في افريقيا والبرازيل واسيا.

كما كانت لثرواتها الخيالية وقوميتها الناشطة ونأيها عن حركات الإصلاح الديني مما أهلها إلى زعامة القوى الكاثوليكية في نضالها ضد القوى المسيحية الأخرى والقوى الاسلامية وفي مقدمتها الدولة العثمانية . وكان حرياً به المشاركة في أحداث عصره التي تزعمها دولته مرة بكونه مقاتلاً ذاباً عن عقيدته المسيحية الكاثوليكية ضد (الطاعون العثماني الجارف) او ضد القوى المسيحية (المارقة) مثل هولندا وبريطانيا وفرنسا وبروسيا ، ومرة أخرى بكونه أدبياً سجل أحداث عصره بعين الأديب الناقد المتمرد .

اتصفت النهضة الحديثة في اسبانيا بأنها انسانية مغرقة في ماديتها مثل بقية أجزائها في جهات أوربا الأخرى ، أو على الأقل معادية للعقيدة الكاثوليكية ، واكتشف بابوات عصر النهضة والشخصيات المسيحية المساندة لها ، أنهم كمن أشعل شمعة في وسط

مخزن للبارود ، لذلك وقفت الكنيسة الكاثوليكية في اسبانيا ضد النهضة الأدبية أو الدراسات الإنسانية التي لم يكن لها بد من الخوض في تراث المسلمين ضمن التراث الإنساني في شبه جزيرة ايبيريا . فضلاً عن ذلك فقد بقيت العلاقات الاقتصادية البالية مستحكمة في المجتمع والامبراطورية الاسبانية أكثر من بقية جهات أوروبا . ربما كانت هذه الأسباب التي جعلته يعيش فقيراً بائساً ومتشرداً لأنه ينتمي إلى الطبقات المسحوقة في المجتمع الأسباني في ذلك الوقت ، على الرغم من انتماءه الديني وتخرجه من المدرسة اليسوعية الاسبانية .

خاض ميغيل دي سيرفانتس في مجالات الأدب المختلفة منذ بداية شبابه فكان شاعراً وكاتباً مسرحياً ومن أهم مسرحياته "نومانيا" و"حمامات الجزائر" و" الجلف السعيد" و"أوردمالس"، ولكنه كان مبدعاً قصصياً ، وتجلّى إبداعه في مجموعته "القصص النموذجية Novelas Ejemplares" وكانت رائعته " دون كيشوت " (1) احدى قصص تلك المجموعة. وكان له الفضل في تحرير الأدب الاسباني من خيالية أدب الفروسية المسيحية في العصور الوسطى وبداية عصر الانبعاث الجديد إلى واقعته المفعمة بالسخرية .

### المبحث الأول - الحياة الاجتماعية لسرفانتس ونشأته الأدبية:

كانت اسبانيا في منتصف القرن السادس عشر امبراطورية ضاربة الأطناب على القارات أوروبا وأفريقيا والأمريكيتين، بمقدرات اقتصادية خيالية يحكمها عاهل واحد هو الامبراطور شارل الخامس Charles V (2) الذي ساعده القدر في واحدة من أدق ضرباته عندما جمع امبراطورية فرديناند وايزابيلا الممتدة من اسبانيا إلى فلوريدا والمكسيك وأمريكا الوسطى وكل أمريكا الجنوبية ماعدا البرازيل والفلبين في آسيا بكونه الوريث الذكر الوحيد ل(الملكين الكاثوليكين) عن طريق والدته جوان الطائشة Jeanne Le Folle بعد عام 1516. وورث عن جده لأبيه الامبراطور مكسمليان الأول (آل الهابسبورگ) (3) الامبراطورية الرومانية المقدسة الممتدة من دوقية براندنبورگ (بروسيا) على بحر البلطيق ومساحات من الوطن الألماني والنمسا والمجر وجهات من ايطاليا. وورث عن جدته لأبيه ماري البورگندية الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا)، بكونه سليل أسرة آل هابسبورگ العريقة عن طريق والده المتوفي فيليب الجميل Philippe Ler Le Beau بعد عام 1519 (4) فضلاً عن العاهل الانكليزي كان زوج خالته . وقد ذكر مؤرخ اسباني بلاده في فخر واعتزاز قائلاً " أن الشمس لا تغيب عن الأراضي الخاضعة لملك اسبانيا وأن أقل حركة من تلك الأمة تهتز لها الأرض بأكملها " (5) وهذا ما جعل اسبانيا في القرن السادس عشر تعد من أعظم واغنى دول العالم، ومنذ مطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر بدأ التطور يظهر فيها بوضوح، إذ امتلك الاسبان في ذلك الوقت اسطولاً بحرياً كبيراً استطاعوا من خلاله أن يفرضوا سيطرتهم على معظم بحار العالم، والوصول مبكراً إلى مناطق العالم الجديد (الأمريكيتين) حالياً، وأعطى ذلك الامبراطور خياراً واسعاً في مناصرة الكنيسة الكاثوليكية، بل قل فرض قناعاته على الكنيسة ، وظهر ذلك في دعمه لمجموعة من الجامعات ذات الصبغة الكاثوليكية أو أنه فرض عليها تلك الصبغة ، وخير مثال على ذلك جامعة لوفان Louvain في فلاندرز Flauders ، كما وأصبحت اليسوعية Jesuits (6) في ذلك الوقت من أقوى المنظمات الدينية الكاثوليكية المؤثرة على المجتمعات الأوروبية، لاسيما المجتمع الاسباني (7) وسنرى تأثير هذه المنظمة على حياة أدينا ميغيل دي سيرفانتس .

ولد ميغيل دي سيرفانتس Miguel De Cervantes (ثيربانتس) في مدينة ألكالا دي ايناريس (قلعة ايناريس) بالقرب من مدينة مدريد وسط اسبانيا في التاسع والعشرين من أيلول (سبتمبر) 1547 ، في وسط اجتماعي بانس ، كانت معدلات وفيات الأطفال الرضع فيه مرتفعة ، وكانت أسرته تخشى وفاته بعد وفاة شقيقه الأكبر أندريس Anders في عام 1543 ولم يتعد طور الرضاعة . وعند ولادة ميغيل عام 1547 قام والده بتعميده في كنيسة القديسة مريم العذراء (سانتا ماريتا لا مابور Santa Marita La Mayor ) عند الكاهن سيرانو Serrano خوفاً عليه من الموت على وفق اعتقادهم (8) . وكان ميغيل الابن الرابع في العائلة التي تتكون من سبعة أبناء، من عائلة فقيرة الحال إذ كان والده رودريگو دي سرفانتس Rodrigo De Cervantes يعمل جراحاً، وأمه ليونور دي كورتنياس Leonor De Courtney (9)

وبسبب حياة الفاقة التي كانت عائلة سيرفانتس تحياها في مدينة الكالا قرر والده الانتقال بأسرته من إقليم مدريد إلى بلد الوليد Valladolid، التي تبعد حوالي 130 ميلاً إلى الشمال الغربي من مدريد في عام 1551، ولم يزل ميغيل صغيراً ، لذا لم يستفد من ولادته ووجوده في هذه المدينة التي كانت من أهم مراكز الدراسات الإنسانية Humanistic Studies Center (10) في ذلك الوقت غرب أوروبا (11) . وكان اختيار مدينة بلد الوليد على وفق اعتقاد رودريگو سيرفانتس والد ميغيل ، لعله يحصل على فرصة لتحسين عمله وتخليصه مما هو فيه من الفاقة ، لما كانت تتميز به هذه المدينة من ازدهار اقتصادي بكونها عامرة بمحال المجوهرات والمتاجر الفاخرة فضلاً عن أنها تعج برجال الأعمال والعائلات الثرية والرهبان والطلاب، كما جذبت إليها فئات أخرى من الناس مثل اللصوص والمحتالين والمتسولين أي أنها تمثل طبيعة المجتمع الاسباني آنذاك . وأقترض مبلغاً من المال لرعاية عائلته وتمويل عمله كجراح ، إلا أنه لم يتمكن فيما بعد من تسديد ديونه فزج به في السجن في الثاني من تموز (يوليو) 1552 مما زاد من معاناته فقرر العودة إلى مدينة الكالا في نيسان (أبريل) 1553 (12).

حاول ميغيل سيرفانتس البافع أن يعمل في مدينة أشبيلية التي كانت تعج بالحركة الاقتصادية بسبب نقل المعادن الثمينة من العالم الجديد (أمريكا) إلى موانئ تلك المدينة، إذ وصفها أحد الأدباء الاسبان الذي يدعى رونازيجت مارين Ronasegt Marin حيث قال " يالاشبيلية من مدينة تموج بما فيها من حياة وحركة 000 وتنوع في الأزياء، وأمتزاج في اللهجات كانها برج بابل، وتدافع العربات المحملة بالثروات 000 وبالنشاط التجارة في بيت العقود الخاصة بأمريكا ، وبالضجة المنياء " (13) إلا أن سيرفانتس راعى ميوله الأدبي وانتمى إلى مدرسة اليسوعيين في إشبيلية في وقت مبكر جداً (14) . وفي عام 1555 تم قبوله في المدرسة اليسوعية في قرطبة Cordoba ، ثم عاد إلى مدينة أشبيلية ليكمل دراسته في المدارس اليسوعية عام 1562، وعندما قرر امبراطور اسبانيا فيليب الثاني Philip II (15) أن يتخذ من مدريد عاصمة لاسبانيا عام 1561 عاد إليها سيرفانتس في عام 1566 على أمل تحسن وضعه الاجتماعي (16)، وتتلماًذا هناك على يد أستاذ النحو والصرف في ذلك الوقت الأستاذ خوان لوبيز Johann

Lopez ، حيث بدأت تتبلور أبداعاته الفنية هناك لاسيما في مجال كتابة الأعمال المسرحية، والقصائد كما أطلع على أفكار وأدب أبرز فلاسفة مدريد حينذاك. وبزغ نجمه بشكل واضح عندما قام برثاء الملكة اليزابيث دي فالوا Elizabeth De Valois (17) بقصيدة رائعة في تشرين الثاني (نوفمبر) 1568<sup>(18)</sup> ، وكانت ذات وقع جيد في نفوس الحاضرين ومن بينهم المونسنيور خوليو أكوايفيا Monsignor Julio Acquafia وهو سياسي ودبلوماسي مرموق في الفاتيكان ، وصل مبعوثاً عن البابا بيوس الخامس Bios V (19) إلى الملك فيليب الثاني لتقديم واجب العزاء ب وفاة ابنه دون كارلوس Don Carlos ، فضلاً عن مناقشة بعض الأمور المهمة مثل أهمها مسألة تعيين وزراء الملك في نابولي Naples وميلان Milan ممن لا غبار على ولائهم للكنيسة الكاثوليكية، وعند وصوله إلى مدريد ماتت الملكة اليزابيث دي فالوا وعندها رفض الملك فيليب الثاني مناقشة أي مسألة مع مبعوث البابا (20). وأهتم خوليو أكوايفيا بمتابعة تعاطف المجتمع الاسباني مع وفاة الملكة من خلال القصائد الشعرية، ومن بينها قصيدة ميغيل دي سيرفانتس (21). بيد أن الأخير غادر مدريد إلى روما متخفياً بعد مرور أقل من عام على تلك القصيدة المثيرة .

### رحلة سيرفانتس إلى روما عام 1569 :

أختلفت المصادر عن سبب مغادرة ميغيل سيرفانتس مدريد والتوجه إلى روما. إلا أن أغلبها يتفق على أن سبب المغادرة يعود إلى مبارزة وقعت تحت الرواق من القصر الملكي في مدريد، بينه وأحد الأشخاص يدعى أنطونيو دي سيغورا Antonio De Sigura ، وجرح الأخير في تلك المبارزة ، فما كان من السلطات الحكومية في مدريد إلا إصدار أمر ملكي موقع من الملك فيليب الثاني في الخامس عشر من أيلول (سبتمبر) 1569 ، يأمر بإلقاء القبض على ميغيل وتنفيذ الحكم الصادر بحقه الذي نص في حينها بقطع يده اليمنى من المعصم ونفيه عشرة أعوام خارج الممتلكات الاسبانية. فما كان من ميغيل إلا الهرب من مدريد والتوجه إلى روما خوفاً من وقوع العقاب عليه (22).

وفي كانون الثاني (يناير) من العام نفسه وصل ميغيل سيرفانتس إلى روما، ومنذ أن وطئت قدماه أرض روما اعتقد أن طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية في روما يتطلب عليه تطبيق المقولة الاسبانية الشائعة حينذاك " هنالك ثلاثة طرق للنجاح: الكنيسة والبحر (العالم الجديد) وخدمة الملك " (23). وعلى الرغم من عدم نجاحه في الوصول لتلك الطرق إلا أنه نجح في الوصول إلى المونسنيور خوليو أكوايفيا أنف الذكر ودخل في خدمته وأصبح من المقربين له، لاسيما عندما تمت تسميته غاردينالاً بكنيسة روما في شباط (فبراير) 1570 ، وبعد أن خدم ميغيل سيرفانتس في الفاتيكان ما يقارب خمسة عشر شهراً قرر مغادرة بسبب اندلاع الحرب الاسبانية العثمانية في عام 1571 (24).

### دوره في حروب أسبانيا الخارجية.

بدأت بوادر الحرب الاسبانية العثمانية تلوح في الأفق، وزدادت حدتها تدريجياً في تموز ( يوليو) عام 1570 بعدما تقدمت القوات العثمانية باتجاه قبرص واحتلتها، مما أثار حفيظة الكنيسة الكاثوليكية التي دعت إلى ضرورة تشكيل تحالف مسيحي أوروبي يأخذ على عاتقه مواجهة التهديدات العثمانية، وعلى أثر ذلك رحبت أسبانيا بمقترح الكنيسة الكاثوليكية، وأشارت لقواتها المرابطة بممتلكاتها في إيطاليا بالاستعداد للحرب (25).

سارع ميغيل سيرفانتس للانحاق والتطوع في خدمة الجيش الاسباني تاركا عمله في الفاتيكان ربما بتأثير الخطاب الديني للكنيسة الكاثوليكية الذي دعت فيه إلى تخليص أوروبا المسيحية من الخطر الإسلامي العثماني . وفي أيلول 1570 أصبح ميغيل سيرفانتس جندياً في كتيبة القائد الميداني مونكادا Moncada التي تضم حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، ومن الجدير بالذكر أن القائد مونكادا كان من مواليد مدينة غواد الجارة (وادي الحجارة) Guadalajara وهي مدينة تقع على نهر ايناريس أحد روافد نهر تاجه بالقرب من مدينة الكالاً مسقط راس سيرفانتس وعلى هذا الأساس أصبح ميغيل سيرفانتس من المقربين للقائد مونكادا بحكم الانتماء الجغرافي. وفي السابع والعشرون من تموز ( يوليو) 1571 تم تشكيل تحالف دولي ضد الدولة العثمانية وانيط قيادة هذا التحالف إلى القائد العسكري النمساوي دون خوان دي Don Juan De (26).

عندما أعلن قائد قوات التحالف دون خوان جاهزية قواته لمحاربة العثمانيين بعد اعادة ترتيبها، أصبح سيرفانتس ضمن قوات القائد الايطالي البيدمونتي يدعى فرانيسكو دي سانتو بيترو Francisco De Santo Pietro ، إلا أن ميغيل سيرفانتس لم يلق العناية التي تلقاها من القائد الاسباني مونكادا، إذ لم ترق الأوضاع المعيشية على متن الأسطول إذ كان معظم المقاتلين على متن الأسطول هو من المجرمين المحكوم عليهم والمحتالين والعبيد، وكانت ظروفهم المعيشية قاسية جداً، لاسيما العبيد منهم وقد ترك ذلك أثراً واضحة في كتاباته فيما بعد عن معاناتهم (27). وكان على متن الأسطول حوالي 400 مقاتل ، منهم 200 من المجذبيين و30 بحاراً وهم مسؤولين عن الملاحة والصيانة إما المتنقلين من المقاتلين البالغ تعدادهم حوالي 170 مقاتلاً فهم من المحاربين والمستعدين للمعركة ومن بينهم ميغيل سيرفانتس (28).

وفي السابع والعشرون من أيلول (سبتمبر) 1571 أبحر الأسطول (الصليبي) من جزيرة كورفو Corfu لمواجهة الاسطول العثماني الموجود في البحر المتوسط (29). وكان ميغيل سيرفانتس يرى أن اسبانيا كونها من أعظم القوى في العالم في ذلك الوقت ، يجب أن يكون لها الحق بقيادة الاسطول في مواجهة التهديدات العثمانية ، وأن موقف الكنيسة الداعم للموقف الاسباني امر لاشك فيه، لذا فإن مشاركته في تلك الحملة جاءت بتحويل من الله والكنيسة والملك (على وفق اعتقاده) وهو لا يبالي بالتضحية من أجل صد الهجمات العثمانية على أوروبا (30). وعلى الرغم من أن ميغيل سيرفانتس تحدى بنجاح الظروف المعاشية القاسية على متن الأسطول، إلا أنه أصيب بمرض الملاريا بعد ثلاثة أيام من ابحار الأسطول، وبمرور الوقت تضاعف مرضه وأصبح مصاباً بالهذيان ومصحوباً بارتفاع درجات الحرارة (31).

وفي السابع من تشرين الأول (اكتوبر) 1571 أقرب الاسطول (الصليبي) من قناة ليبانتو Lepanto (32) ، وعلى بعد 15 ميلاً من الأسطول العثماني أستعدت قوات التحالف الأوربي من أجل الهجوم على الأسطول العثماني، وسمع ميغيل سيرفانتس صرخات

الجنود " أحملوا السلاح . . . إلى السلاح " وفي هذه الحالة تقدم بخطوات بطيئة متوجهاً إلى أحد جوانب الاسطول حاملاً بيده بندقية قديمة الطراز<sup>(33)</sup>. وعندما شاهد قائد الاسطول وضعه الصحي المتدهور طلب منه البقاء على سطح السفينة، إلا أن ميغيل سيرفانتس رفض ذلك قائلاً " لقد خدمت في الجيش الاسباني كجندي صالح، ومرضي هذا لا يمنعني من تحقيق أراذتي، فمن الأفضل القتال والموت في خدمة الله وجماله الملك، أرجوك سيدي ضعني في المكان الأكثر خطورة وهناك سأأخذ موقفي"<sup>(34)</sup>. وكان قائد الاسطول متردداً في تحقيق مبتغاه إلا انه رضخ في نهاية الأمر إلى ارادته، وعلى الرغم من هزيمة الاسطول والقوة العثمانية في تلك المعركة إلا أن ميغيل سيرفانتس تعرض إلى طلقات نارية أصيب خلالها في صدره ويده اليسرى فسقط على متن السفينة فاقداً وعيه<sup>(35)</sup>.

وفي أواخر تشرين الأول 1571 وصل الاسطول إلى مدينة ميسينا الايطالية Messina ورقد ميغيل سيرفانتس في المشفى حوالي ستة أشهر خلال المدة ما بين الحادي والثلاثين من تشرين الأول 1571 إلى الرابع والعشرين من نيسان (أبريل) 1572، على الرغم من الظروف الصحية المتدهورة داخل المشفى إذ كان يعج بالمرض في ظل الطب البدائي وعدم توفر العلاج ونقص الأسرة، وعلى أثر ذلك تدهورت حالة ميغيل سيرفانتس الصحية، لاسيما اصابته في يده اليسرى التي استدعت حضور الطبيب لعلاجها، وقد شخص حالته بضرورة قطع اليد المصابة، وعلى الرغم من قطع يده صرح ميغيل سيرفانتس بعد خروجه من المشفى قائلاً " على الرغم من قطع يدي، [إلا أن] سعادتني لا توصف بانتصار القوات المسيحية على العثمانيين"<sup>(36)</sup>. ولم تمنعه إصابته البالغة من العودة إلى الاسطول، وأصر على الاستمرار في الخدمة العسكرية، وبالفعل عاد وبعنوان جديد كمقاتل في قوات النخبة Trooper from Elite وشارك في معارك عديدة ضد الدولة العثمانية لعل أهمها المعارك التي حدثت في نيسان 1573<sup>(37)</sup>.

### موقفه تجاه نزاع اسبانيا مع القراصنة عام 1573

أستمر ميغيل سيرفانتس بمنصبه كمقاتل بارز في قوات النخبة في مطلع عام 1573 وكانت من أهم القضايا التي واجهه اسبانيا في تلك المدة هي قضية القراصنة Pirates<sup>(38)</sup>، لاسيما بعد تعرضهم لموانئها البحرية في أيار 1573، وقد حث السياسيون النخبة الملك فيليب الثاني على اتخاذ موقف حازم تجاه هجمات القراصنة المتكررة على سواحل وممتلكات الحكومة الاسبانية، وأكدوا على ضرورة حماية الممتلكات الاسبانية من تلك الهجمات. ومن الجدير بالذكر أن تلك الهجمات كانت تنطلق من شمال أفريقيا وبالتحديد (تونس، الجزائر)<sup>(39)</sup>. وفي نهاية الأمر قرر الملك فيليب الثاني في الثامن من تشرين الأول 1573 إلى مهاجمة معاقل القراصنة الموجودة في تونس والجزائر وطرابلس<sup>(40)</sup>. ومن الملاحظ أن الملك فيليب الثاني أختار اليوم الثامن من تشرين الثاني موعداً لمهاجمة القراصنة وذلك بمناسبة الذكرى السنوية لمعركة ليبانتو أنفة الذكر<sup>(41)</sup>.

كان ميغيل سيرفانتس حريصاً جداً على المشاركة مع القوات المستعدة في موانئ جنوا Genoa لتنفيذ أوامر الملك، إلا أنه تلقى أبناء غير مشجعه عن أسرته التي كانت تعيش في وضع مالي خائق، لذلك عقد العزم على العودة إلى اسبانيا ووضع حد نهائي لمعاناتها المالية، إذ كان ميغيل سيرفانتس يأمل بطلب قرض مالي من الحكومة الاسبانية التي كانت تتيج لمقاتليها قروضاً مالية مرضية يتم تسديدها خلال عشر سنوات على الأقل<sup>(42)</sup>. ولأجل تحقيق ذلك سعى للحصول على تأييد خطي من القادة العسكريين الذين خدم تحت إمرتهم في المعارك التي شارك بها. وبالفعل حصل ميغيل سيرفانتس على مبتغاه من القادة العسكريين الذين أكدوا في خطاباتهم شجاعة في المعارك التي شارك فيها<sup>(43)</sup>.

وفي أيلول 1575 غادر ميغيل سيرفانتس مملكة سردينيا متوجهاً إلى أسبانيا على متن السفينة أل سول EL Sol وكانت واحدة من أربع سفن متوجهة إلى اسبانيا وبالتحديد إلى مدينة برشلونه Barcelona وأثناء تلك الرحلة ضربت عاصفة عنيفة سفن الرحلة، ونظراً لسوء الأحوال الجوية فقد تغير مسار السفينة التي كان ميغيل سيرفانتس على متنها باتجاه معاقل القراصنة (المجاهدين البحريين) في الجزائر، وعندما التقى الطرفان لم يثبت ميغيل سيرفانتس ورفاقه الذين هم على متن السفينة قدرتهم على المواجهة أو التعامل مع هذا الموقف بشكل فعال فوقعوا أسرى بيد القراصنة<sup>(44)</sup>.

### المبحث الثاني — معاناته في حياة الأسر في الجزائر

عندما تمت سيطرة القراصنة على السفينة أل سول قاموا بقتل طاقمها واستولوا على ما موجود فيها من المؤن وأسر من بقي حياً من ركبها البالغ عددهم 28 فرداً ممن كانوا على متنها ومن بينهم سيرفانتس، واثناء قيامهم بتفتيش الأسرى عثروا على خطابات القادة العسكريين التي كانت بحوزته، مما جعلهم يعتقدون بانه شخص مهم في الحكومة الاسبانية، حتى أنهم عزلوه عن باقي الأسرى، وارسلوا إلى زعيمهم أرنت مامي Arnaut Mam الذي بدوره أرسل إلى ملك أسبانيا يطلب فيه فدية عالية تقدر حوالي بـ 500 اسكود (ريال ذهبي) لإطلاق سراح سراحه<sup>(45)</sup>.

وعلى الرغم من وقوع سيرفانتس في الأسر إلا أنه لم يخف إعجابه عما شاهده في مدينة الجزائر حيث وصف المدينة بتجرد بـ " المدهشة" لما رأى من نشاط بشري كانت تكتظ به المدينة، فضلاً عن كثرة المساجد التي بلغت حوالي 100 مسجد، كما أبدى إعجابه واصفاً وجريان المياه داخل المدينة والتي شكلت ما يعرف بـ " حمامات الجزائر " التي كانت موضوع احدي مؤلفاته فيما بعد، كما بين سيرفانتس أهمية المدينة في ذلك الوقت كواحدة من أهم المراكز التجارية المطلة على البحر المتوسط. كما كانت المدينة سوقاً رائجاً لبيع العبيد لاسيما المسيحيين الأسرى الذي كان يبلغ عددهم حوالي 250,000 شخص<sup>(46)</sup>. وفي غضون ذلك وضع سيرفانتس في سجن خاص يسمى "بانو Bano" وهو مخصص للسجناء المسيحيين الذين من علية القوم في بلدانهم، إذ يتم إيداعهم فيه حتى وصول الفدية<sup>(47)</sup>.

بذل ميغيل سيرفانتس جهوداً كبيرة بهدف العيش قدر الأمكان في ظل الظروف القاسية التي كانت سائدة في السجن، إذ كان على السجناء التسول في الطرقات القريبة من مكان اعتقالهم للحصول على قوتهم اليومي، وهذا ما جعلهم يتعرضون للسخرية وضربهم بالحجارة في بعض الأحيان من قبل أطفال المدينة، وقد وصف سيرفانتس قسوة العيش في تلك الظروف من خلال كتابه

"حياة في الجزائر Life in Algiers" (48). لذلك طلب سيرفانتس وبارادة تعوزها الثقة من الأسرى المطلق سراحهم في إيصال رسالة إلى أسرته لمساعدته، موضحاً أنه أصبح في خطراً كبيراً، لاسيما بعدما مر وقت طويل من تقديم القراصنة شروطهم لملك اسبانيا دون رد منه ومعنى ذلك أن الملك فيليب الثاني رفض الانصياع إلى شروطهم. ألا أنه كان يعرف بالمشاكل المالية التي كانت تعانيه أسرته في اسبانيا. وعلى أثر ذلك توصل سيرفانتس إلى قرار يقضي بالهروب من السجن بكونه الطريق الوحيد للتخلص من الظروف القاسية التي كانت تحيط به (49).

وفي مطلع كانون الثاني (يناير) 1576 حاول ميغيل سيرفانتس الهرب إلى مدينة وهران التي كانت خاضعة للاحتلال الأسباني، إلا أنه واجه صعوبات جمة لعل أهمها بعد مدينة وهران عن مكان اعتقاله والتي كانت تقدر بحوالي 200 ميل. وعلى الرغم من ذلك تحدى سيرفانتس بعد مدينة وهران، وقد أيد بعض السجناء تحدي سيرفانتس وقرروا الذهاب معه، ورافقهم في ذلك مرشد أتفقوا معه لإرشادهم إلى مدينة وهران. وأثناء سيرهم إلى مدينة وهران توفي مرشدهم، بعدما شاركوا على الموت فما كان لديهم خيار سوى الرجوع إلى معتقلهم، وكان سيرفانتس لا يعترض على تحمله المسؤولية التامة بمحاولة الهروب لانه كان يرى أن ذلك يجب أن لا يكون على حساب رفاقه (50). ومع ذلك عاقب القراصنة الهاربين مع سيرفانتس عقوبة وصفت بالوحشية، بينما تلقى سيرفانتس عقوبة طفيفة بسبب اعتقادهم بالحصول على فدية كبيرة من ذلك الشخص المهم (51).

واستمرت محاولات سيرفانتس في الهرب طوال المدة الممتدة ما بين أيلول 1577- و تشرين الأول 1579 ألا أنها بائت بالفشل (52). وفي أيار 1580 أرسلت الكنيسة الكاثوليكية ثلاثة رهبان لغرض التفاوض مع القراصنة لإطلاق سراحه مع بعض المسيحيين المعتقلين معه، إلا أن زعيم القراصنة دالي مالي طلب من الرهبان 500 اسكود ذهبي، لإطلاق سراح سيرفانتس وحده، بينما لم يكن هذا المبلغ في حوزتهم وفشلت محاولة إطلاق سراحه (53). عندما تكررت المحاولات في إطلاق سراح سيرفانتس دون طائل تدخلت أسرته في الموضوع في محاولة منها لتوفير المبلغ اللازم، وعلى هذا الأساس قدم شقيقه طلباً إلى المجلس المالي في قشتالة Castile من أجل الحصول على قرض لتقدمة فدية له إلا أن المجلس رفض الطلب (54). ومن الملاحظ أن الرأي العام في اسبانيا أظهر تعاطفاً كبيراً مع سيرفانتس والمسيحيين الأسرى في الجزائر، مما شجع الكنيسة إلى أن تأخذ المبادرة وترسل وفداً من الرهبان مجدداً للتفاوض مع القراصنة من أجل إطلاق سراحه ورفاقه، وبالفعل نجحت مبادرة الكنيسة هذه المرة بعد أن جمعوا مبلغ الخمسمائة إسكود ذهبية، وتم إطلاق سراح سيرفانتس في التاسع عشر من أيلول 1580 وفي الرابع والعشرين من تشرين الأول 1580 فعاد إلى اسبانيا وهو يقول " أني أسعد أنسان على وجه الأرض، لا يمكن وصف سعادتني وأني أسترد حريتي بعد أن فقدتها" (55).

### العودة إلى اسبانيا 1580 :

أفضى تأثير حياة الأسر التي عاشها سيرفانتس في الجزائر إلى وضع اقتصادي ازداد سوءاً، لاسيما بعد اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء في المجتمع الأسباني في الربع الأخير من القرن السادس عشر، وتعاظم سطوة الطبقة الإقطاعية المدعومة من الملك والحاشية، على المجتمع الأسباني وسيطرتهم على المناصب العليا في الحكومة الأسبانية والجيش والأسطول (56). وفي خضم تلك التحديات كان على سيرفانتس تسديد الديون التي بذمته، فكانت الأشهر الأولى من عودته إلى وطنه محبطة جداً، وعلى هذا الأساس قدم سيرفانتس طلباً إلى المجلس المالي في قشتالة لغرض الحصول على المساعدة المالية كونه كان أحد المقاتلين الأسبان القدامى الذين لهم تاريخ بطولي مشرف خلال خدمته العسكرية (57). وقد رفض المجلس المالي طلب سيرفانتس بسبب ما تمر به البلاد من مخاطر خارجية لعل أهمها تأزم الأوضاع السياسية والعسكرية في الأراضي المنخفضة الأسبانية (هولندا وبلجيكا) مع الهولنديون حتى وصلت إلى حالة الحرب، فضلاً عن هجمات القراصنة المستمرة على الممتلكات الأسبانية، ناهيك عن مساعي الحكومة بالتعاون مع الكنيسة لفك أسرى المسيحيين لدى القراصنة (58) بيد أن الأهم من ذلك كله بوادر الحرب التي بدأت تلوح في الأفق مع انكترا فيما عرف بالتاريخ الأوربي بـ "حرب الأرمادا". وفي هذه الحالة عاد سيرفانتس إلى مدريد في عام 1582 وهو راغب في ممارسة مهنته المفضلة لديه وهي الكتابة، وأنضم في العام نفسه إلى دائرة المسرح والشعراء الأسبان، وقد أصدر روايته الأولى "لاجالايتا La Galate" عام 1583 (59). وهي تحاكي النمط الشعبي والحياة الرعوية في اسبانيا في ذلك الوقت، وبسبب تدهور حالته المعاشية باع سيرفانتس روايته لاجالايتا إلى أحد الكتاب الأسبان المغومرين يدعى بلاس دي رويلز Blas De Robles بسعر 120 دوكة (60). وبعد حصوله على المبلغ ذهب إلى قرية في جنوب مدريد تدعى لامانتشا La Mancha في أيلول 1584 وكانت هذه القرية تزدهر بمناظر خلابة حيث حقول القمح الخضراء وطواحين الهواء التي كانت العلامة البارزة في راعته دون كيشوت Don Quixote (61). والتقى في تلك القرية بشابة تدعى كاتالينا دي سالازار Catalin De Salazar التي كانت تبلغ من العمر 19 عاماً، وتزوج منها في الثاني عشر من أيلول 1584. وكان مما يعتقد به سيرفانتس بشأن الكتابة أنها لا تكفي لسد احتياجاته اليومية، لذلك كان عليه البحث عن عمل يكسب من خلاله لقمة العيش (62).

وفي ذلك الوقت تدهورت العلاقات السياسية ما بين أسبانيا و انكترا بعد تعرض الأخيرة إلى الموانى الأسبانية في نيسان 1587، وعلى أثر ذلك أمر الملك فيليب الثاني تعبئة القوات الأسبانية والاستعداد لمهاجمة انكليز، كما أصدر الملك بأثناء مركز لتموين الأسطول الأسباني في ممتلكات الحكومة الأسبانية، وقد تولى سيرفانتس مهمة الأشراف على ذلك المركز في أشبيلية، وكانت المهام المناطة به الحصول على الذرة والقمح والفحم والأمدادات اللازمة للمجهود الحربي وقد جلبت له هذه المهنة متاعب كبيرة، لاسيما في قرية إيسيجا Ecija بسبب مطالبته الأهالي بضريبة القمح الواجب دفعها لمركز التموين إلا أن الأهالي أحتجوا على ذلك بسبب حاجتهم الماسة للمحصول، إذ كان يسمى هذا المحصول في ذلك الوقت بـ "محصول الفقراء"، وعلى الرغم من ذلك أستمتر في عمله حتى أصدر الملك فيليب الثاني قراره القاضي بالغاء مركز التموين في حزيران 1594 ليعود إلى مدريد في الشهر ذاته وهو عاطلاً عن العمل مجدداً (63). إلا أنه سرعان ما زوال مهنة جابي الضرائب في العام ذاته لكنه تعرض إلى

الاعتقال وزج في السجن الملكي في إشبيلية طوال المدة الممتدة بين شهري أيلول وكانون الثاني (يناير) من عام 1597 بعد إفلاس البنك الذي كان يضع فيه الودائع<sup>(64)</sup>.

### المبحث الثالث : سيرفانتس ودوره في النهضة الأدبية في أسبانيا

سعى ميغيل سيرفانتس في أواخر عمره إلى حياة بعيدة عن المصاعب والبحث عن السلام الذي استعصى عليه في معظم حياته، وعلى أثر ذلك توجه إلى مدينة بلد الوليد في حزيران 1604 للبحث عن دار يسكن فيها مع زوجته كاتالينا، وقد أبدى ارتياحه بعد أن جمع أسرته في دار مكونة من ثلاثة طوابق في وسط المدينة<sup>(65)</sup>. وفي منتصف عام 1605 استطاع من نشر الجزء الأول من رائعته رواية "دون كيشوت"، التي طبعت حوالي 10 طبعات في العام ذاته، لكنها لم تدر لميغيل سيرفانتس ما يكفل له الكفاف<sup>(66)</sup>. وبدى يخشى الأوساط الأدبية، لاسيما بعدما تلقى موجة عارمة من الانتقادات من بعض الأدباء الأسبان المنافسين له، ولعل أبرزهم المؤلف المسرحي وزعيم المسرح الأسباني لوبه دي بيجا، وعلى الرغم من ذلك استمر سيرفانتس في مواجهة تلك المصاعب حتى عام 1610 بعد تولي فيرنانديز رويدي دي كاسترو Fernandez Ruiz de Castro منصب نائب الملك في نابولي، وبصفته الراعي للفنون في نابولي فقد صرح برغبته اصطحاب مجموعة من الأدباء الأسبان الموهبين معه وكان سيرفانتس من بين أولئك المشمولين بتصريحه<sup>(67)</sup>. وقد برز هناك من خلال الروايات القصيرة التي تلائمت بشكل كبير مع النهج العام في نابولي حتى أنها سميت بالتموجية كونها النموذج الأول من الروايات الأدب الأسباني ذات صبغة تعليمية وأخلاقية<sup>(68)</sup>.

لم يقتصر ابداع سيرفانتس في الأدب الروائي فقد كان شاعراً ومؤلفاً مسرحياً وقصصياً يكتب القصص القصيرة والطويلة لكن شعره لم يكن بمرتبة عالية بل يبدو اضعف جوانبه حتى قال عنه لوبه دي بيجا : " أنه أسوأ الشعراء الجدد" وأطول قصائده الشعرية كتبها في عام 1614 وهي " رحلة البرناسو" عام 1614 وكانت خالية من روح الشباب المتوثب ولكن الشاعر الايطالي النابولي انتزرى كابوردي بروجيا أضاف لها تلك الروح عندما استلهم منها قصائده<sup>(69)</sup>.

وفي الخامس والعشرون من تموز 1615 قام بنشر أهم مسرحياته وهي "نومانتيا" و "حمامات الجزائر" و " الجلف السعيد" و "أوردمالس" وكانت كلها تمثل الانفعالات للشخصيات الرمزية، عبر عن فيها عن أحوال نفسية معقدة أو مبادئ أخلاقية سامية، ولكن أما ميدانه الحقيقي فهو القصص القصيرة منها والطويلة، وتجلى إبداعه أكثر في اقصيصه التي دعاها "أقصيص نموذجية Novelas Ejemplares" ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، ويشمل القسم الأول منها القصص ذات الأبعاد المثالية، وكان تأثير الأجواء المثالية النابولية بدياً فيها مثل "العاشق الحر" و "قوة الدم" و "الفتاتان" و "السيدة كورنليا" و "الاسبانية الانكليزية"، أما القسم الثاني فكانت تجمع بين النزعة المثالية والنزعة الواقعية الايطالية وتشمل "النورية" و "الغسالة الشهيرة" و "الغيبور" "الأستريمادوراوى" إما القسم الثالث فيسود فيها النزعة الواقعية مثل "رنكونتية" و "الزوج المخادع" و "حديث الكلاب" و "المجاز فدييرا" أما المنجز الحقيقي لسيرفانتس الذي جعله على خارطة تاريخ الأدب العالمي جنباً إلى جنب مع كل من دانتي أليغييري وويليام شكسبير وآخرون من رواد الأدب العالمي فهي رائعته دون كيشوت<sup>(70)</sup>.

عانى سيرفانتس أثناء حياته من بعض الأمراض التي أدت إلى تدهور حالته الصحية وكان من أبرزها داء السكري الذي أصابه والذي كان مجهولاً في ذلك الوقت، وعانى منه الكثير في أواخر حياته، إلى أن توفي سيرفانتس في الثالث والعشرون من نيسان 1616 عن عمر ناهز السادسة والتسعين في مدريد حيث تمنى أن يدفن في دير الآباء في الحي ذاته، وذلك على خلفية مساعدة الكنيسة له بعد أسره في الجزائر لمدة خمسة أعوام وتوسطهم ودفعهم الفدية له<sup>(71)</sup>.

### الخاتمة

يتضح مما تقدم أن ميغيل سيرفانتس المولود في عائلة معدمة في مجتمع شديد الطبقة في مدينة الكالا التي كانت إحدى أهم مراكز الدراسات الانسانية في اسبانيا، فكان لها الفضل في أن تطبع المولود الجديد بطابعها، دون يثير المولود الجديد ذلك الاهتمام الذي يحظى فيه أطفال الطبقة المرموقة، لذا وجد ميغيل الشاب الفقير ضالته في التوقد الديني والاندفاع المسيحي الكاثوليكي، إذ كانت بلده اسبانيا راعية المسيحية ثم راعية الكاثوليكية ضد المهرطقين، فطبعت حياته الأولى بطابع تعليمي ديني مسيحي كاثوليكي متمثل بالدراسة في المدارس اليسوعية، مما زاده توقداً دينياً، مما جعله ينخرط في الجيش لمحاربة (أعداء المسيح) وكان أدائه في ذلك الجيش متميزاً، وأصيب نتيجة ذلك إصابة بالغة سببت له عوقاً دائماً ثم أسر زاد في مرارة نفسه، ولما عاد إلى اسبانيا معدماً مديناً مفلساً، إلا من شعور عارم بالفخر والرضى بأنه شارك في هزيمة الدولة العثمانية في معركة ليبانتو، وقد نيف على الثلاثين من العمر.

بعودته إلى اسبانيا انتهت فترة التوقد الديني في حياته لبعدهم بالواقع المعيشي المرير والفقير المدقع، مما أيقظ في نفسه (ميغيل سيرفانتس) الأديب مستندا في ذلك إلى الأشهر القليلة التي قضاها في الفاتيكان إذ تعلم اللغة الايطالية والاطلاع على مؤلفات أبرز أدباء ايطاليا والتأثر بالتحضر الايطالي، أو تلك المدة القليلة التي قضاها في مدينة مسينا في فترة نقاهته بعد إصابته بالبلية. ولكن موهبته الأدبية التي كانت العمل الوحيد المتاح أمامه، لم توفر له عيشاً كريماً. وعلى الرغم من أنه كان من عمالقة الأدب الانساني شاعراً ومسرحياً وقاصاً إلا أن أدبه لم يلتفت إليه أحد، إلا بعد فوات الأوان، شأنه في ذلك شأن أغلب المبدعين في تاريخ البشرية، فقد رحل عن عمر ناهز السبعين عاماً، وربما لم يكن يعرف أن رائعته "دون كيشوت" أصبحت إحدى أهم رموز الأدب العالمي في عصر النهضة.

- (1) أثار قصة ميغيل دي سيرفانتس "دون كيشوت" (دون كيخوت) مالم يثره أي عمل أدبي في الأدب العالمي في مطلع العصور الحديثة ، فقد عدت القصة رمزاً لسيطرة الشيطان على النفس البشرية وفي أحيان أخرى عد دون كيخوت مبشراً بالخير محارباً للشياطين المتمثلة بطواحين الهواء ، وفي كلتا الحالتين هي انتقاد لقيم الفروسية في العصور الوسطى التي عفا عليها الزمن في مطلع القرن السابع عشر . وخلال أربعة قرون استخدمها المفكرون لتسويق أفكارهم أو ربما لتبرير نظرياتهم وأفعالهم بحق الشعوب .
- (2) شارلز الخامس (1500- 1558) امبراطور الدولة الرومانية المقدسة وملك اسبانيا، ولد في 24 شباط (فبراير) 1500 ، تولى الحكم في المدة حزيران (يونيو) 1519- أب (أغسطس) 1556 وشهد عهده العديد من المنجزات العسكرية أهمها انتصاره على ملك فرنسا وأسرته عام (1525)، كما انه أستطاع من هزيمة الدولة العثمانية عام (1532)، ويعد شارلز الخامس من أبرز وأهم الشخصيات الأوروبية في ذلك الوقت، وامتدت الأراضي التي يحكمها إلى مناطق واسعة. للمزيد من التفاصيل أنظر: The New Encyclopedia Britannica, Vol. V, London, 1910, P-P. 889-900.
- (3) آل هابسبورك نسبة إلى قلعة النسر Habs-Bourg في جنوب ألمانيا السويسرية (سوابيا) ، وكانت الأسرة بقيادة البرت الثري Albert La Rieche ، وقد حكمت ألمانيا لأول مرة في عام 1273 بقيادة رودولف الأول وقد أدت أدواراً في تاريخ ألمانيا والنمسا والمجر واسبانيا ، واستمرت بحكم النمسا والمجر حتى 1918 . أنظر عبد العزيز محمد الشناوي ، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول ، ( القاهرة، 1985)، ص227.
- (4) المصدر نفسه ، ص229.
- (5) نقلا عن : غيريال، وهبة ، دون كيشوت بين الحقيقة والوهم ، القاهرة، 1989، ص، 12.
- (6) هي من إحدى الوسائل التي أتبعتها الكنيسة الكاثوليكية لمقاومة البروتستانت عن طريق إنشاء منظمات دينية أخذت على عاتقها ترسيخ مبادئ الديانة الكاثوليكية في المجتمع الأوربي آنذاك وكانت من أقوى تلك الطوائف وأكثرها نجاحاً الطائفة اليسوعية (الجزويت) التي أسسها الراهب الاسباني أغناطيوس ليولا والذي يعد من أهم فرسان الامبراطور شارلز الخامس، وأصيب في إحدى المعارك فتسبب له عوقاً في إحدى رجليه الذي حال دون إكمال حياته العسكرية، وبعدها قرر تكريس حياته للمسيح والكنيسة الكاثوليكية فأسس هذه المنظمة الصارمة التي ركزت على التنشئة المسيحية من خلال التعليم ، وكان نجاحها باهراً في أثناء نشوء المذاهب المسيحية الأخرى ، ومما يذكر أنها أعادت إلى حضيرة الكاثوليكية شعوباً بكاملها. McCabe, A Candid History of Jesuits, (New York, 1913), p.3- 9.
- (7) Barbara Keevil and Duane F. Parker, Miguel de Cervantes , (New York, 2003), p.5.
- (8) Ibid., p. 6 .
- (9) Alberta Wilson Server and John Ester Keller, Don Quixote de Le Mancha , (New York, 1980), p.3.
- (10) وهو تعبير اجتماعي فكري ظهر بشكل بارز في القرن السادس عشر، وهي كلمة مشتقة من اللاتينية "Humanitas" التي تعني الإنسانية حرفياً ومقتبسة بدورها من كلمة "Homo" التي تعني الإنسان، و اراد اصحاب هذا الاتجاه اختيار هذا الاسم للتأكيد على الطابع الدنيوي للعلوم والآداب وعلى قيمة الانسان في الحياة بعد تجريده منها على مدى قرون طويلة. كمال مظهر أحمد، عصر النهضة، (بغداد، 1979)، ص، 38- 39.
- (11) Alberta Wilson Server and John Ester Keller, op. cit., p. 5.
- (12) Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 5 .
- (13) نقلا عن : غيريال، المصدر السابق ، ص، 13.
- (14) Alberta Wilson Server and John Ester Keller, op. cit., p. 5.
- (15) فيليب الثاني (1527- 1598) ملك اسبانيا خلال المدة (1556- 1598) إذ انفصلت الامبراطورية الاسبانية عن الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وبلغت في عهده أوج عظمتها حتى أنه استطاع ضم عدد من الممتلكات الواسعة إلى العرش الاسباني، منها نابولي وصقلية ما بين (1554- 1598)، والعرش الانكليزي ما بين عامي (1555- 1558) كزوج للملكة ماري الأولى (الدموية ) ابنة خالة والده الامبراطور شارل الخامس ، وملك البرتغال باسم فيليب الأول عام (1580) فضلا عن عروش والقباب أخرى، وتميز عهد بمساندة الكنيسة الكاثوليكية ضد اعدائها. للمزيد من التفاصيل أنظر: The New Encyclopedia Britannica, Vol. 21, P.384.
- (16) ثيرباننتس ، دون كيخوته ، ج 1 ، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، (القاهرة، 1965)، ص1.
- (17) اليزابت دي فالوا 2 نيسان (أبريل) 1545 – 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1568 وهي الابنة الكبرى للملك الفرنسي هنري الثاني من كاترين دي مديشي ، تزوجت الملك فيليب الذي يكبرها عمراً في صفقة صلح كاتو كمبرسيس 1559 وهي الزوجة الثالثة لملك اسبانيا ، توفيت بمرض الجدري وهي في ريعان الشباب . أنظر
- (18) كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، 98، p.12; Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit.,
- (19) بيوس الخامس ( 1504- 1572) بابا الكنيسة الكاثوليكية ولد في 17 كانون الثاني 1504 في مدينة ميلانو ( الايطالية) تعلم الأصول الدينية الكاثوليكية منذ صباه، حتى أصبح عام (1518) راهباً وتدرج في المناصب الدينية حتى أصبح بابا الكنيسة

The New الكاثوليكية خلال المدة (1566-1572)، بعد وفاة البابا بيوس الرابع . للمزيد من التفاصيل أنظر: Encyclopedia Britannica, Vol. 21, P.685.

(20)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.22.

(21)Harold Bloom, Cervantes, Don Quixote, (London, 2001), P.4.

(22)Alberta Wilson Server and John Ester Keller, op. cit., p. 7 ;

(23) Quoted in Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.18.

(24) Ibid.,p.29 .

(25) Alberta Wilson Server and John Ester Keller, op. cit., p. 17

(26)Barbara Keevil and Duane F.Parker, op. cit., p.30-38. ;Harold Bloom, op. cit.,p.28.

(27)Harold Bloom, Ibid., P.31.

(28)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 38.

(29)Ibid., p.40.

(30) أيوب أبو ديه، علماء النهضة الأوربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2010، ص، 17- 18.

(31) Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 44.

(32) وهي معركة بحرية حدثت ما بين قوات التحالف الأوربي (المسيحيين) والدولة العثمانية في 7 تشرين الأول 1571 بالقرب من جزيرة ليبانتو واستمرت تلك المعركة حوالي ثلاث ساعات متوالية انتهت بهزيمة الدولة العثمانية، واستولت قوات التحالف الأوربي على 130 سفينة عثمانية واحرقت أو أغرقت 94 سفينة وتعد هذه المعركة أول مواجهة بين الدولة العثمانية من جهة وأكثر من دولتين مسيحييتين من جهة أخرى. للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، 2009، ص، 257.

(33)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 46.

(34)Quoted in Ibid., p.51.

(35) ثيرباننتس، المصدر السابق، ص 2.

(36)Quoted in Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.53.

(37) Harold Bloom, op. cit., p.34.

(38) يختلف المسلمون في تفسير مصطلح القرصنة في شمال أفريقيا عن الأوربيين ففي الوقت الذي نظر فيه الأوربيون إلى نشاط البحارة ورياس البحر المسلمين المدعين من الدولة العثمانية ، على إنه قرصنة ، نظر إليه المسلمون في شمال أفريقيا على إنه جهاد بحري ضد القوى المسيحية ، وكانت غنائم هذا الجهاد تشكل مصدراً مهماً من مصادر دخول البحارة ورياس البحر المسلمين والحكومات الاسلامية في شمال أفريقيا، وكان آل بربروسا أشهر رياس البحر(القراصنة) المسلمين الذين أفنوا حياتهم في خدمة الدولة العثمانية أخضعوا الجزائر وتونس للسيادة العثمانية ، وفي مقابل ذلك كافئهم العثمانيون ، بأن أصبح خير الدين قبودان دوريا الاسطول العثماني ، فارتفع به إلى مرتبة الكمال ، وفرض الأوربيون إلغاء الجهاد البحري ( القرصنة) في مؤتمرات الحلف الرباعي التي أعقبت مؤتمر فيينا في عام 1814-1815.

(39) محمد فريد، المصدر السابق، ص، 258؛ ثيرباننتس، المصدر السابق، ص، 2.

(40)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 44.

(41) محمد فريد، المصدر السابق، ص، 258.

(42) ثيرباننتس، المصدر السابق، ص، 3.

(43)Harold Bloom, op. cit., p.40- 41.

(44)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p. 55-56.

(45)Ibid., p. 59 .

(46) مؤيد محمود حمد المشهداني و سلوان رشيد رمضان ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارات، المجلد5، العدد16 نيسان 2013، ص، 418—423.

(47)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.59.

(48) ثيرباننتس ، المصدر السابق، ص4 .

(49) المصدر نفسه، ص4 .

(50)Ibid., p.63-64.

(51)Harold Bloom, op. cit., p. 44.

(52)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.64.

(53)Ibid., p. 69 .

(54)ثيرباننتس، المصدر السابق، ص4.

(55) Quoted in Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.71.

(56) أياد الهاشمي، تاريخ أوربا الحديث، الطبعة الأولى، (عمان، 2009)، ص، 88.



(57)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.73.

(58)Ibid., p.74.

(59) ثيربانتنس، المصدر السابق، ص4.

(60)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.77.

(61) سارفانتس، دون كيشوت، ترجمة صياح الجهم، الطبعة الأولى، (بيروت، 1999)، ص7.

(62) ثيربانتنس، المصدر السابق، ص4.

(63)المصدر نفسه، ص5. ; Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.78

(64)Ibid., p. 78 .

(65)Ibid., p. 78 .

(66) سارفانتس، المصدر السابق، ص7 .

(67)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.78

(68)Ibid., p. 78 .

(69)ثيربانتنس، المصدر السابق، ص5.

(70) المصدر نفسه ، ص5.

(71)Barbara Keevil and Duane F. Parker, op. cit., p.78 .

### المصادر

1. أيوب أبو ديه، علماء النهضة الأوربية، الطبعة الأولى، (بيروت، 2010).
2. أحمد ، كمال مظهر، عصر النهضة،(بغداد، 1979) .
3. ثيربانتنس ، دون كيشوته ، ج 1 ، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، (القاهرة، 1965).
4. سارفانتس، دون كيشوت، ترجمة صياح الجهم، الطبعة الأولى، (بيروت، 1999).
5. الشناوي ،عبد العزيز ، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول، ( القاهرة، 1985).
6. فريد،محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الحادية عشرة، (بيروت، 2009).
7. المشهداني ،مؤيد محمود حمد و سلوان رشيد رمضان ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارات، المجلد5، العدد16، نيسان 2013.
8. الهاشمي، أياد ، تاريخ أوربا الحديث، الطبعة الأولى، (عمان، 2009).
9. غبريال، وهبة ، دون كيشوت بين الحقيقة والوهم ، القاهرة، 1989.
10. The New Encyclopedia Britannica, Vol. 5,( London, 1910).
11. Bloom, Harold, Cervantes, Don Quixote, (London, 2001).
12. Keller, Alberta Wilson Server and John Esten, Don Quixote de Le Mancha ,(New York,1980),
13. McCabe, A, Candid History of Jesuits,(New York,1913).
14. Parker, Barbara Keevil and Duane F. , Miguel de Cervantes ,(New York,2003).
15. [https://en.wikipedia.org/wiki/Elisabeth\\_of\\_Valois](https://en.wikipedia.org/wiki/Elisabeth_of_Valois).